

إعداد الفرد خلقياً



المقصود بالإعداد الخلقي أن يكون الإنسان جياش العواطف كبير القلب. ينبعط للخير، ويفرح به، ويحرص عليه. وينقبض عن الشر ويضيق به، ويفر منه. وهذا هو جوهر الإيمان، وفي الحديث: "إذا سررت حسنتك وساءت حسنتك فأنت مؤمن". ويمكن تلخيص وجهة الإسلام من ناحية تربية الإنسان تربية خلقية فيما يلي:

1- إنّ الإنسان خلق مُزوج داً بقوى واستعدادات يمكن أن توجهه إلى الشر. وإن كانت إرادة الخير في بعض الناس أقوى، وإرادة الشر في البعض الآخر أقوى، وبينهما تفاوت لا يعلمه إلا الله.

في الحديث: "الناس معاذن كمعاذن الذهب والفضة".

وليس إرادة الإنسان مفطورة على الخير المحمى ولا على الشر المحظى.

يقول الله سبحانه وتعالى:

(إِنَّمَا هَدَى نَبِيُّهُ السَّبِيلَ إِنَّمَا شَاكِرًا وَإِنَّمَا كَافُورًا) (الإنسان / 3).

ويقول سبحانه وتعالى:

(وَهَدَى بِنَاهُ النَّاجِدَيْنَ) (البلد / 10).

2- وكل إنسان مسؤول عن تهذيب نفسه وإصلاحها. يقول سبحانه وتعالى:

(وَزَفْسِ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَرَفْوَاهَا * قَدْ أَفْتَحَ مَنْ زَكَاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) (الشمس/7-10).

ويقول سبحانه:

(بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) (القيامة/14).

ويقول سبحانه:

(كُلُّ امْرَئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ) (الطور/21).

ويقول سبحانه:

(كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) (المدثر/38).

3- وتزكية النفس وإصلاحها هو سبيل الفلاح، كما أن إهمالها هو السبيل إلى الخيبة والخسران.
يقول الله سبحانه:

(وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الظَّالِمُونَ آمَنُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبَرِ) (سورة العصر).

ويقول سبحانه:

(قَدْ أَفْتَحَ مَنْ تَرَكَهُ * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَهَلْتَهُ) (الأعلى/14-15).

4- وإصلاحها يتمثل في التخلص من الهوى وكبت الشهوة، والارتفاع عن المادة، والسمو عن النعائص الخلقية.

فإن الهوى داعية للشر والفساد، وصادٌ عن الحق والخير، وصارفٌ عن الهدى والرشاد.

يقول الله سبحانه:

(أَفَبِرَأَيْتَ مَنْ أَتَخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ أَعْلَمُ عَلَيْهِ سَمْعًا وَوَلْبَهُ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غَشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مَنْ بَعْدَهُ أَلَّا...) (الجاثية/23).

يقول سبحانه وتعالى:

(يَا دَاوُدُ إِنَّمَا جَعَلْتَنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَبِهِضْلَكَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الظَّالِمِينَ يَهْتَلُونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) (ص/26).

(وَلَوْ أَتَتْ بَعْدَ الْحَقِّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ...) (المؤمنون/71).

ويقول سبحانه:

(فَإِنْ لَمْ يَسْتَدِجْ بِهِ وَلَكَ فَاعْلَمْ أَرْسَمَا يَعْلَمْ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضْلَلْ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنْ أَنَّ (القصص/ 49).

5- والخلص من الهوى يحتاج إلى مواجهة شاقة، وصبرٌ ومصايرة، فإن طريق الوصول إلى الكمال ليس مفروشاً بالورد ولا الرياحين. يقول الرسول (ص): "جُفِّنَ النار بالشهواتٍ وحُفتَ الجنة بالكمارِه".

فأعبر إليها على جسرٍ من التعب كذا المعالي إذا ما رمت تدركها

وفطام النفس عن شهواتها يحتاج إلى مراقبة دائمة، وخوف من الله ويقظة من الضمير. يقول الله تعالى:

(وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) (النازعات/ 40-41).

وفي الحديث، أنَّ رسول الله (ص) قال: "المجاهدُ مَنْ جاحدَ نفسه في ذاتِ الله".

والعبادات هي التي تجدِّد الإيمان بها، وتحيي الضمير، وتعصم الإنسان من الانزلاق الخلقي، وتحفظه من نفسه الأمارة بالسوء.

يقول الله تعالى:

(إِذْلِكُمَا أُوحِيَ إِلَيْكُمَا مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) (العنكبوت/ 45).

6- والقدوة الطيبة والأسوة الحسنة لها شأن كبير، وأثر بعيد المدى في نفس الإنسان، وفي نجاحه في الحياة، إذ هي علمٌ هادٍ يشير إلى المثل الحي، والفضيلة المحسنة، وعرضُ للنماذج البشرية الصالحة التي يراد محاكاتها والاقتداء بها؛ وقد أمرَ الله نبيه أن يقتدي برسل الله الذين تقدموه فقال: (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبَهُدَاهُمْ أَقْتَدُهُمْ) (الأنعام/ 90).

وجعل للمسلمين مثلاً أعلى، وهو رسول الله الذي جمع ما تفرق في غيره من الصدق والوفاء والشجاعة والكرم والإيثار وسائر خلق الخير، فقال:

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَهُ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِيرًا) (الأحزاب/ 21).

7- واختيار الأصدقاء الذين يعينون على الخير، ويرشدون إلى، مما يهتم له الإسلام، ويحرمن عليه أشد الحرث. إذ الإنسان يفيض بمعاشرة الأصدقاء كثيراً مما هو في حاجة إليه من جميل الخصال، وتهذيب السلوك، وصفل النفس. ▶